

العنوان:	فلسفة الحب عند ابن حزم الأندلسي
المؤلف الرئيسي:	خميس، لطيفة على محمد
مؤلفين آخرين:	محمد، الشفيق الماحي(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2015
موقع:	الخرطوم
الصفحات:	1 - 188
رقم MD:	831373
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة دكتوراه
الجامعة:	جامعة النيلين
الكلية:	كلية الدراسات العليا
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	فلسفة الحب، الحب في الإسلام، ابن حزم الأندلسي، علي بن احمد بن سعيد، ت. 456 هـ، التراجم، فلسفة ابن حزم
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/831373

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

خميس، لطيفة على محمد، و محمد، الشفيق الماحي. (2015). فلسفة الحب عند ابن حزم الأندلسي
(رسالة دكتوراه غير منشورة). جامعة النيلين، الخرطوم. مسترجع من
<http://search.mandumah.com/Record/831373>

إسلوب MLA

خميس، لطيفة على محمد، و الشفيق الماحي محمد. "فلسفة الحب عند ابن حزم الأندلسي" رسالة
دكتوراه. جامعة النيلين، الخرطوم، 2015. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/831373>

الفصل الرابع

أصول الحب

المبحث الأول: الحب من النظرة الأولى

المبحث الثاني: الحب في الحلم

المبحث الثالث: التعريض بالقول

المبحث الرابع: الحب من الوصف

المبحث الخامس: من أحب صفه لم يستحسن غيرها ما يخالفها .

المبحث السادس: الحب بعد طول جهد

المبحث السابع: الحب من الإشارة

الفصل الرابع

المبحث الاول

الحب من النظرة الأولى

الحب من النظرة الأولى موضوع جذلي بين العشاق والشعراء ، تناوله البعض بشي من الإنكار على حين أبحر فيه آخرون مؤكدين صحته من وحي تجربة شخصية أو اجتماعية ، على حين أنخرط العلماء يؤكدون وجود فيزياء وكيمياء مشتركة بين الأشخاص تلتهب في القلوب لتثبت إشعاعات الحب بين العيون من أول نظرة لتطغى بعد ذلك على التفكير والعقلانية والمنطقية ، والعيون هي المدخل وقد ذكر ابن الصفدي في لوعة الشاكي ولوعة الباكي يصف العيون : هي التي توقع القلب في التعب ، وتوفر نصيبه من أسهم الهم والنصب ، وترميه بدواعي الهوان ودواهي الهوى ، وتسلمه الى مكايده الغرام ومكابدة الجوى ، لو عذبت بطول السهر وكثرة الدموع وبفيض الشئون وعدم الهجوع ، وبمسامرة الأحزان والفكر ، وبمراقبة النجوم الى السحر ، وبعدم الإغفاء وطول السهر – لكان استحقاقها وجود جود الدمع وإن طما ، وعدم منال المنام وإن نما :

فيما جرت بالدمع أو

لأعذب العين غير مفكر

سالت دما

حتى يعود على الجفون

ولأهجرن من الرقاد لذيله

محرمًا

هي أوقعتني في حبال فتنة
لو لم تكن نظرت لكنت
مسلمًا

سفكت دمي فلا سفحن دموعها
وهي التي بدأت وكانت
أظلمًا (231)

كما وصف العين واسماء اجزائها في أول الكتاب سحر العيون الباب الخامس
وعيوبها الخلقية وغيرها .

وتطرق العديد من الشعراء إلى موضوع الحب والسحر الكامن في العيون وقد
تنتهي هذه العلاقات بما يشتهي العشاق أو بالفراق وخيبة الأمل والقاسم المشترك
بين جميع هذه الأشياء هو العين وما تخفيه من عبارات ونظرات فتكون النظرة
الأولى هي السهم الذي يرمي به المحب هذا من وجهة نظر الشعراء والادباء ، أما
العلماء والباحثون فيذهبون إلى تحليل سحر العيون بمفاهيم علمية فيؤكدون إن العين
عندما تلتقي بعين أخرى ينبض القلب ويسارع العقل الى إفراز الهرمونات وما
يرافق ذلك من تأجج المشاعر وارتفاع هرمون السعادة وما يصاحب ذلك من تغيير .

وقد جعلت النظرة الاولى لك ، لانها حركة غير إرادية ، فلا تدخل تحت طائلة
الحساب والعقاب ، وهي التي سماها الرسول صلى الله عليه وسلم نظرة الفجأة ،
قال تعالى . قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ* وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ .
(232)

اما الثانية فعليك لأن فيها حكم وتفحص وتعمق .

231 - احمد تيمور ، الحب والجمال عند العرب ، دار الكتاب العربي، 1982م، ص 92 .

232 - سورة النور ، الآية 30 - 31 .

روى الإمام (احمد بن حنبل) رضي الله عنه - في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (النظرة سهم من سهام إبليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه حلاوة يجدها الى يوم يلقاه) .

فالحب من النظرة الأولى لا يعد حباً بالمعنى الفعلي ، وإنما عبارة عن شعلة من اللهب وإعجاب وإفتتان يشغل العقل لفترة ما يلبث أن يخمد لاحقاً لتستقر العواطف ، فالبعض يحب بعقله ، وآخرون يحبون بقلوبهم ، وفريق ثالث تقوده النظرة الأولى للحب ، في حين يؤكد الغالبية إن الحب من النظرة الأولى غالباً ما يكون مجرد إعجاب ظاهري لا يرتقي إلى مرتبة الحب . فالعين مع العين تحرك الغزيرة الكامنة في الداخل لذلك يقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه)(233).

فأدأب النظر وقض البصر مطالب بها الرجل والمرأة لأن النظرة هي البريد الأول للشهو وهي التي تحرك القلب حتي إن النبي صلى الله عليه وسلم كان مع زوجته أم سلمة وميمونة، ودخل سيدنا عبد الله بن أم مكتوب وقال لهما : احتجبا ، فقالتا: أنه أعمى، قال : (أفعمياوان أنتما الستما تبصرناه)(234).

ففي الحديث إن النبي صلى الله عليه وسلم أدرف الفضل بن العباس يوم النحر خلفه وفيه قصة المرأة الوضيئة الخزعية فطفق الفضل ينظر اليها فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بذقن الفضل وحول وجهه عن النظر اليه)(235).

والإعجاب كما عرفه ابن حزم هو : رغبة الناظر في المنظور اليه وفي قربه (236) ، والإعجاب أول درجات المحبة ويحتوي على عنصر الالفة .

والالفة عند ابن حزم هي الوحشة إلى المحبوب إذا غاب (237) والإعجاب هو المرحلة السابقة للحب أو تمهيد للحب وبذلك نجد إن حدوث الحب مرتبط بمرحلتين

233 - عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، رواه الطبراني والحاكم ، وقال صحيح الاسناد

234 - رواه الترمذي عن نيهان مولى أم سلمة .

235 - عن ابن عباس ، رواه الامام البخاري .

236 - ابن حزم ، السير في مداواة النفوس، مرجع سابق ، ص 374 .

237 - المرجع نفسه ، ص 374 .

عندما يكون في بدايته يسمى (إعجاب) ثم تأتي المرحلة الثانية التي يتحول فيها الإعجاب إلى ما نسميه ونعرفه (بالحب) ، والإعجاب يتولد من التعامل المستمر مع الآخرين ومع الأشياء ، ثم تنمو مشاعر الحب نحو الشخص الذي نعجب به ، فلا يوجد حب من أول نظرة وأن نكن أكثر دقة هناك إعجاب من أول نظرة ، وليس حب من أول نظرة فالحب يستغرق وقتاً ويأتي لاحقاً ، وابن حزم لا يؤمن بالحب من النظرة الأولى .

ولا يؤمن ابن حزم بالحب من النظرة الأولى فيقول عن ذلك " وإني لأطيل العجب من كل من يدعي أنه يحب من نظرة واحدة ، ولا أكاد اصدق ، ولا أجعل حبه إلا ضرباً من الشهوة " (238) وهناك أشكال يرد عليه ابن حزم وهو أنه قد قرر فيما مضى إن سر الحب وحقيقته في ذلك الاتصال الروحاني ، والامتزاج النفساني ، فما الذي يمنع إذ أن يقع الاتصال بين الأرواح المتعارفه والنفوس المتألفة من أول نظرة ؟ يجيب ابن حزم على هذا الاشكال بقوله " ولا يظن ظان ، ولا يتوهم متوهم إن هذا مخالف لقولي المسطر في صدر الرسالة بان الحب اتصال بين النفوس في أصل عالمها العلمي ، بل هو مؤكد له ، فقد علمنا إن النفس في هذا العالم الأدنى قد غمرتها الحجب ، ولاحققتها الاعراض ، وأحاطت بها الطبائع الارضية الكونية ، فسترت كثيراً من صفاتها ، وإن كانت لم تحله لكنها حالت دونه فلا برح الاتصال على الحقيقة إلا بعد التهيؤ من النفس ، والاستعداد له ، وبعد إيصال المعرفة اليها ، بما يشاكلها ويوافقها ، ومقابلة الطبائع التي خفيت مما يشبهها من طبائع المحبوب ، فحينئذ يتصل إتصلاً صحيحاً بلا مانع ، وأما ما يقع من أول وهله ببعض أعراض الإستحسان الجسدي ، واستطراف البصر الذي لا يجاوز الألوان ، فهذا هو سر الشهوة ومعناها على الحقيقة (239)

ويخلص ابن حزم الى إن الاتصال بين النفوس المتوافقه لا يحصل من أول نظرة بل هو يحتاج الى زمن تتكشف فيه الحجب ، وتزول فيه الطبائع التي أكتفت النفس

238 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف، مرجع سابق ، ص 36 .
239 - المرجع نفسه ، ص 37 .

الانسانية حتى تنهيا النفس للاتصال والامتزاج مع الموافق لها ، وأما الذي يقع من أول نظرة فهو ليس الحب ، ولكنه الاستحسان الذي لا يجاوز معنى الشهوة .

فيقول ابن حزم :

" كثيرا ما يكون لصوق الحب بالقلب من نظرة واحدة . وهو ينقسم قسمين :

الأول : ان يعشق المرء صورة لا يعلم من هي ولا يدري لها اسماً ولا مستقراً وقد عرض هذا لغير واحد " . (240)

والثاني : وهو أن يعلق المرء من نظرة واحدة فتاة او جارية او امرأة معروفة الاسم والمكان والمنشأ . ولكن التفاضل يقع في سرعة الفناء وإبطالة .

فمن احب من نظرة واحدة وأسرع العلاقه من لمحة خاطرة فهو دليل على قلبه الصبر ومخبر بسرعة النسيان ودليل على الظرافه و الملل السريع وهكذا فى جميع الاشياء أسرعها نمو ا أسرعها فناء وأبطؤها حدوثا وأبطؤها نفادا . لا يوجد حب من النظرة الاولى ولكنه أعجاب ثم يتطور هذا لاعجاب اذا وجد توافقا نفسياً فيصبح حب ، وقد يحصل فعلياً من اول لحظه يلتقى فيها الشخصان , اذ يشعران بانجذاب متبادل انجذاب نحو الشخص الواقع أمامك , منذ اللحظة الأولى التى تقع فيها عيناك عليه , وهذا النوع شائع جداً . وغالباً لا يعرف السبب الحقيقى الكامن وراء هذه الظاهرة , الا ان الانجذاب للشكل قد يكون أحد أهم الاسباب بالاضافة الى وجود الشخصين فى المكان المناسب والوقت المناسب وقديوم هذا النوع من العلاقات لمدة طويلة فى حالة ترجمة هذا الاعجاب الى علاقته ذات ابعاد حقيقيه وعمق فى التفكير ، ويلاحظ ابن حزم إمكانية الحب من نظرة واحدة ولكن الاختلاف في امر الحب من نظرة واحدة يكون في سرعة إضمحلاله وفتور العلاقة وانقطاعها او في البط في فتورها ومن ثم انقطاعها , ويؤكد ابن حزم إن ما دخل سريعاً الى القلب خرج بدات السرعة ويقول عن هذا الحب انه دليل على قلة الصبر

والتسرع . أما ابن داؤود فيقول في كتابه الزهرة (رب حرب جنيت من لفظة ،
ورب عشق غرس من لحظة)⁽²⁴¹⁾.

وهنا نلاحظ ان صياغة ابن داؤود تنطوي علي نوع من البلاغة والتفلسف وأن
عباراته تأخذ شكل المأثورات او تصاغ في صورة حكم وأمثال.

²⁴¹ - ابن داؤود الظاهري، الزهرة ، مرجع سابق ، ص 45

المبحث الثاني

الحب في الحلم

الحب في الحلم عند ابن حزم من أبعد الأسباب لحدوث الحب وهو أن يحب الإنسان شخصاً يكون قد رآه في حلمه أو في منامه أي شخص غير موجود في الواقع وهذا عند ابن حزم أبعد ما يكون.

ويقول ابن حزم في ذلك :

" ولا بد لكل حب من سبب يكون له أصلاً , وأنا مبتدي بأبعد ما يمكن أن يكون من أسبابه ليجري الكلام على نسق , أو أن يبتدأ أبداً بالسهل والأهون فمن أسبابه شي لولا أنني شاهدته لم أذكره لغرابته " (242) .

ويؤكد ذلك بما شاهدته حين يقول (دخلت يوما على أبي السري عمار بن زياد فوجدته مفكرا مهتما فسألته

قال : رأيت في نومي الليلة جارية فاستيقظت وقد ذهب قلبي فيها وهمت بها , واني لفي أصعب حال من حبها , ولقد بقى أياما كثيرة يزيد على الشهر مغموما مهموما لا يهينني شي وجدا إلى أن عدلته وقلت له : من الخطأ العظيم أن تشغل نفسك بغير حقيقة وتعلق وهمك بمعدوم لا يوجد , هل تعلم من هي ؟ قال : لا والله , قلت : انك لضعيف الرأي مصاب البصيرة إذ تحب من لم تراه قط ولا خلق ولا هو في الدنيا ولو عشقت صورة من صور الحمام لكنت عندي أعذار , فما زلت به حتى سلا وما كاد (243) .

وهذا النوع من الحب حسب رأي ابن حزم " من حديث النفس وأضغاثها وداخل في باب التمني وتخيل الفكر " (244) .

242 - ابن حزم , طوق الحمامة في الالفه والالاف, مرجع سابق , ص 31 .

243 - المرجع السابق , ص 31 .

244 - المرجع نفسه , ص 32 .

ويمكن أن يحدث لمن يحب في الحقيقة , كأن يحب محبوبته في المنام , فهذا من الحب الكبير لا محالة حيث أصبحت المحبوبة تشغله في اليقظة ومن شدة حبها تشغله المنام .

وفي ذلك يقول :

ياليت شعري من كانت وكيف سرت
أطلعة الشمس كانت أم هي القمر

أظنه العقل أبداه تدبره
أو صورة الروح أبدتها لي الفكر

أو صورة مثلت في النفس من أمني
فقد تخيل في إدراكها البصر

أو لم تكن كل هذا فهي حادثة
أتى بها سبباً في حتمي القدر (245)

المبحث الثالث

التعريض بالقول

ويأتى باب التعريض بالقول كأحد أسباب أصول الحب يقول ابن حزم :

" لابد لكل مطلوب من مدخل اليه , وسبب يتوصل به نحوه , فلم ينفرد بالاختراع دون واسطة إلا العليم الأول جل ثناؤه "(246).

فأول ما يستعمل طلاب الوصل (الحب) فى كشف حبه إلى احبتهم , وذلك بعدة سبل منها : إما بانشاء الشعر أوبارسال مثل أوتعميمه بيت أو طرح لغز أو تسليط كلام .

ويتوقف الكشف عن المحبه للطرف الاخر على قدر إدراكهم فالناس يختلفون , على حسب ما يرونه من احبتهم من نفار أو أنس (كره أو ثقيل) او فطنه (ذكاء) أو بلاهة (قلة فهم) .

يقول ابن حزم :

" وإنى لأعرف من ابتداء فى كشف محبته بأبيات من الشعر فإن وجد أنس وقبول زاد وإن لمس كره أو نفور أو بلاهة توقف , وما بين القبول والرفض تتأجج المشاعر ونصاب بالقلق والتوتر بين الرجاء واليأس , وعادة ما يكون أنتظار الجواب إما بلفظ أو بهيئة الوجه .

ويذكر في الطوق ما يثبت ذلك فيقول : وإنى لأعرف جارية اشتد وجدها بفتى من أبناء الرؤساء , وهو لا علم عنده , وكثر غمها به وطال أسفها إلى أن ضنيت بحبه , وهو بغرارة الصبا لا يشعر ؛ ويمنعها من إبداء أمرها إليه الحياء منه ؛ لأنها كانت بكرة بخامتها , مع الإجلال له عن الهجوم عليه بما لا تدري لعله لا يوافق , فلما تمادى الأمر – وكانا إلفين في النشأة – شكت ذلك إلى امرأة جزلة الرأي كانت

246 - ابن حزم , طوق الحمامة في اللفة والالاف , مرجع سابق , ص 41 .

تثق بها لتوليها تربيته ، فقالت لها : عرضي له بالشعر ، ففعلت المرة بعد المرة ؛ وهو لا يأبه في كل هذا " (247)

ويقول أيضاً : " ومن التعريض بالقول جنس ثان ، ولا يكون وبعد الاتفاق ومعرفة المحبة من المحبوب فعندها يقع التشكى وعقد المواعيد بالتغريير ، وإحكام المودات بالتعريض ، وبكلام يظهر لسامعه منه معنى غير ما يذهبان اليه فيجيب السامع عنه بجواب غير مايتأدى الى المقصود بالكلام " (248) .

ويفهم كل منهما عن صاحبه ولا يفهمهما الا من أيد بحسن نافذ وذكاء , وامتد بتجربة فلا يخفى عليه ما يريدان ويروي عن ذلك إنه عرف فتى وجارية كانا يتحبان ، فأرادها في بعض وصلها على بعض ما لا يحل ، فقالت : والله لا شكونك في الملاء علانية ولا فضحك فضيحة مستورة . فلما كان بعد أيام حضرت الجارية مجلس بعض أكابر الملوك ، وأركان الدولة وأجل رجال الخلافة ، فلما انتهى الغناء إليها سوت عودها واندفعت تغني بأبيات قديمة وهي :

غزال قد حكى بدر التمام
كشمس قد تجلت من غمام

سبى قلبي بألحاظ مراض
وقد الغصن في حسن القوام

خضعت خضوع صب مستكين
له وذلت ذلة مستهام

فصلني يا فديتك في حلال
فما أهوى وصالاً في حرام (249)

وعلمت أنا هذا الأمر فقلت :

247 - المرجع السابق ، ص 74 .
248 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف، مرجع سابق ، ص 42 .
249 - المرجع السابق ، ص 42 .

عتاب واقع وشكاه ظلم
وخصم

تشكت ما بها لم يدر خلق
كانت تسمي (250)

أتت من ظالم حكم

سوى المشكو ما

المبحث الرابع

الحب من الوصف

ومن غريب العشق أن تقع المحبة بالوصف دون المعاينة على غير أبصار وذلك من خلال الحكايات ووصف المحاسن وسماع الأصوات من وراء الجدران والأبواب فيكون لذلك تأثيراً على النفس ظاهر وبالتالي يكون سبباً للحب وتعلق البال بإحدى الصور المذكورة وقد حدث ذلك لأكثر من شخص .

يقول ابن حزم في ذلك

" من غريب أصول العشق أن تقع المحبة بالوصف دون المعاينة , وهذا أمر يترقى منه إلى جميع الحب , فتكون المراسلة والمكاتبة والهم والوجد والسهر على غير الأبصار , فان للحكايات ونعت المحاسن ووصف الأخبار تأثيراً في النفس ظاهراً , وان تسمع نغماتها من وراء جدار , فيكون سبباً للحب واشتغال البال , وهذا كله قد وقع لغير ما واحد (251) .

ويرى ابن حزم أن هذا النوع من الحب غير مجد وغير سليم فهو على غير أساس لان كل ماتوهمه سواء من صورة او حسن صوت كان لمجرد الوصف بدون معاينه او مشاهدة . وان وقعت المعاينة يوماً ما فحينئذ يتأكد الأمر او يبطل بالكلية لاختلاف الخيال بالواقع وكلا الوجهتين قد عرض وعرف .

ويؤكد ذلك حين يقول " وهذا عندي بنيان هار على غير أس , وذلك أن الذي أفرغ ذهنه في هوى من لم ير لا بد له إذ يخلو بفكرة أن يمثل لنفسه صورة يتوهمها , وعيناً يقيمها نصب ضميره , لا يتمثل في هاجسه غيرها , قد مال بوهمه نحوها " (252) .

251 - ابن حزم , طوق الحمامة في الالفه والالاف , مرجع سابق , ص 32 .

252 - المرجع نفسه , ص 32 .

وانه من الخطأ ان يتعلق ذهن المرء لمجرد سماع محاسن شخص او بطولاته أو ماشابه ذلك من خلال الحكايات او نعت ووصف لمحاسن تقرد بها شخص ما فعندما تتوفر إحدى هذه الامور فإن الشخص سوف يرسم صورة ذهنيه فى مخيلته ويفرغ ذهنه فى هوى من لم يرى ويمثل لنفسه صورة يتوهمها وعيناً يقيمها نصب ضميره ويبقى ذلك مجرد فرضيات تتأكد او تنتفى أمام المعاينة.

ويقول فى استحسان النعمة دون وقوع العين على العيان , منه :

قد حل جيش الغرام سمعى ... وهو على

مقلتى يبدو

ويقول فى مخالفة الحقيقة لظن المحبة عند وقوع الرؤية :

وصفوك لى حتى إذا أبصرت ما ... وصفوا علمت

بأنه هذيان

فالطبل جلد فارغ وطنينه ... يرتاع منه

ويفرق الإنسان (253)

وهذه الأحوال تحدث بين الأصدقاء والإخوان .

وعن نفسه يقول : انه كان بيني وبين رجل ود وكيد , ثم منح الله لنا لقاء , فما مرت الا ايام حتى وقعت لنا منافرة ووحشه شديدة متصلة إلى الان , ووقع لي ضد هذا مع ابي عامر بن ابي عامر رحمه الله , فإنني كنت له على كراهة صحيحة وهو لي كذلك , ويؤكد ذلك انحراف بين أبويننا لتنافسهما فيما كانا فيه , ثم وفق الله الاجتماع به فصار لي اود الناس وصرت له كذلك , وأما أبو شاكر عبد الرحمن بن القبري فكان لي صديقاً على غير رؤية , ثم التقينا فتأكدت المودة واتصلت الى الان .

وعن وقوع الحب بالسماع ذلك ابن داؤود مدلاً عليها بحدث الرسول صلى الله عليه وسلم (الأرواح جنود مجنّدة) وقد أسّتشهد ابن حزم بالحدث نفسه .

المبحث الخامس

من أحب صفه لم يستحسن غيرها ما يخالفها .

يرى ابن حزم أن للحب حكماً على النفوس ماضياً ، وسلطاناً قاضياً ، وأمرأ لا يخالف ، وحدأ لا يعصى ، وملكأ لا يتعدى ، فيقول :

" ولقد شاهدت كثيراً من الناس لا يهتمون في تمييزهم ، ولا يخاف عليهم سقوط في معرفتهم ، ولا اختلال بحسن اختيارهم ولا تقصير في حدسهم ، وقد وصفوا أحباباً لهم في بعض صفاتهم بما ليس بمستحسن عند الناس ولا يرضى في الجمال ، فصارت هجيراً هم ، وعرضه لأهوائهم ومنتهى استحسانهم . ثم يمضى أولئك إما بسلو أو بين أو هجر أو بعض عوارض الحب ، وما فارقهم استحسان تلك الصفات ولا بان عنهم تقضيها ، على ما هو أفضل منها في الخليفة ، ولا مالوا إلى سواها ، بل صارت تلك الصفات المستجادة عند الناس مهجورة عندهم ساقطة لديهم إلي أن فارقوا الدنيا و انقضت أعمارهم ، حينئذ منهم إلى من فقدوه ، وألفه لمن صحبوه " (254)

فرب إنسان أحب صفة في محبوبه الأول ، فلم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها ، وإن كانت المخالفة إلي الأفضل والاحسن ويروى في ذلك حكايات عرفها بنفسه .

فيقول : " وإنني لا اعرف من كان في جيد حبيبه بعض الوقص فما استحسن اغيد ولا غيداء بعد ذلك " (255)

" وأعرف أيضاً من هوى جارية في فمها فوه لطيف فلقد كان يتقذر كل فم صغير ويذمه ويكرهه الكراهية الصحيحة " (256)

254 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف ، مرجع سابق ، ص 39 .

255 - المرجع السابق ، ص 39 .

256 - المرجع نفسه ، ص 39 .

" وأعرف من كان أول علاقته بجارية مائلة الى القصر فما احب طويلة بعد هذا " (257)

وهولاء الذين حكى عنهم ليسو ممن قل حطهم من العلم والادب بل هم من اوفر الناس في الادراك والعلم والفهم والادب ولكن " للحب حكمه عن النفوس " (258) .

ويحكي لنا ابن حزم عن تجربته الشخصية مع الحب الاول فيقول " وعني اخبرك اني احببت في صباي جارية لي شقراء الشعر فما استحسننت من ذلك الوقت سواد الشعر ولو انه على الشمس او على صورة الحسن نفسه ، واني لا أجد هذا في أصل تركيب من ذلك الوقت لا تواتيني نفسي على سواه ولا تحب غيره البتة " (259)

ويقول " وعني أخبرك أني أحببت في صباي جارية لي شقراء الشعر فما استحسننت من ذلك الوقت سواد الشعر ، ولون انه على الشمس أو على صورة الحسن نفسه . وليس العجب فيمن أحب قبيحا ثم لم يصحبه ذلك في سواه فيأذ ارجع إلى نفسه وجدها لا تأبى إلا الأدنى . فأعجب لهذا التغلب الشديد والتسلط العظيم " (260) .

257 - المرجع السابق ، 39 .

258 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف، مرجع سابق ، ص 39 .

259 - المرجع السابق، ص 40 .

260 - المرجع نفسه ، ص 34 .

المبحث السادس

الحب بعد طول جهد

يرى ابن حزم إن " من الناس من لا تصح محبته إلا بعد طول المحادثة وكثير المشاهدة وتمادى الأنس وهذا الذي يوشك أن يدوم ويثبت ولا يحيك فيه مر الليالي . فما دخل عسير لم يخرج يسير أو هذا هو مذهبي ، وقد جاء في الأثر أن الله قد قال للروح عند أمره أن يدخل حسد آدم وهو فخار فهاب وجزع : أدخل كرها وأخرج كرها " (261)

وهذا يدل على لصوق الحب بأكباد أهل هذه الصفة ، وأنه إذا تمكن منهم لم يحل أبدا يقول " وأنى لا أطيل العجب من كل من يدعى أنه يحب من نظرة واحدة ولا أكاد أصدقه ولا اجعل حبه إلا ضرباً من الشهوة ، وما لصق بأحشائي حب قط إلا مع الزمن الطويل وبعد ملازمة الشخص لي دهرأ وأخذى معه في كل جد وهزل . وكذلك أنا في السلو والتوقى فما نسيت ودأ لي قط " (262) .

ويقول أيضا " واما ما يقع من أول وهله ببعض أعراض الاستحسان الجسدى ، واستطراف البصر الذي لا يتجاوز الألوان ، فهذا سر الشهوة ومعناها على الحقيقة . فإذا غلبت الشهوة وتجاوز هذا الحد ووافق الفصل اتصال نفساني تشترك فيه الطبائع مع النفس يسمى عشقا " (263)

ومن هذا دخل الغلط على من يزعم أنه يحب اثنين ويعشق شخصين متغايرين فإنما هذا من جهة الشهوة . وهى على إعجاز تسمى محبه لا على الحقيقة . فأما نفس المحب فما فى الميل به فضل يصرفه من أسباب دينه ودنياه فكيف الاشتغال بحب ثان .

261 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف، مرجع سابق ، ص 36 .

262 - المرجع السابق، ص 36 .

263 - المرجع نفسه ، ص 37 .

وفي صدق الحب وإفراد المحبوب نستشهد بقول الله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ﴾⁽²⁶⁴⁾ وقال جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾⁽²⁶⁵⁾

وقال سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَّنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾⁽²⁶⁶⁾

فليس في القلب إلا وجهة واحدة ، إذا توجه إليها لم يمكنه التوجه إلى غيرها ، وكما أنه يجتمع فيه إرادتان معا ، فكذا لا يكون فيه حبان ...

والمحبيب لذاته لا يمكن أن يكون إلا واحدا ، ويستحيل أن يوجد في القلب محبوبان لذاتهما ، كما يستحيل أن يكون في الخارج ذاتان قائمتان بنفسيهما ، كل ذات منهما مستغنية عن الأخرى من جميع الوجوه ، فليس الذي يحب لذاته إلا الإله الحق الغني بذاته عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير بذاته إليه⁽²⁶⁷⁾ .

فالتوحيد في الحب ظاهرة موجودة في الادب العربي منذ القدم فقد تغنى قيس بن الملوح بصاحبته ليلي كما تغنى عروة بن حزام بصاحبته عفراء وترنم جميل بن معمر بحب صاحبته بثينة وتذله العباس بن الاجنف بحب صاحبته فوز⁽²⁶⁸⁾ .

يؤكد ابن حزم أيمانه بوحدانية الحب ولا يمكن لشخص ان يحب اثنين ، لانه لا يملك قلبين ومن شذ على ذلك فحبه شهوة وهي من الصفات المذمومة ، والتي قد تقود صاحبها الى المعصية فيقول :

264 - سورة الاحزاب ، الايه 4

265 - سورة الاحزاب ، الايه 1 - 3 .

266 - سورة الاعراف ، الايه 189 - 190 .

267 - احمد حسين فؤاد ، الحب والغريزة الجنسية في المنظور الاسلامي والغربي، ط 1، القاهرة ، 2008 ، ص 80 .

268 - جمال الدين الرمادي خليل مطران، القاهرة، 1632م ، ص 99 .

ومثل ما في الاصول اكذب

كذب المدعى هوى اثنين حتما
ماني

ولا احدث الامور بثنائي

ليس في القلب موضع لحبيبين

خالقا غير واحد رحمان

فكما العقل واحد ليس يدري

غير فرد مباعد أو مدان

فكذا القلب واحد ليس يهوى

بعيد من صحة الإيمان

هو في شرعة المودة ذو شك

وكفور من عقده دينان" (269)

وكذا الدين واحد مستقيم

وينتهي ابن حزم الى انه يمكن للإنسان أن يحب أكثر من مرة كون الحب تجربة شخصية خاصة بكل شخص لا يشترك فيها مع أي شخص آخر وحتى وإن وقعت في الحب أكثر من مرة ستجد مشاعرك تتغير من تجربة إلى أخرى فلا يوجد معايير قياسية للحب ولكنه ينفي أن يحب الشخص شخصين في أن واحد .

المبحث السابع

الحب من الإشارة

يرى ابن حزم إن الإشارة تقوم في كثير من الحالات مقام القول ، يوضح ذلك بقوله : الإشارة بلحظ العين ، وإنه ليقوم في هذا المعنى المقام المحمود ، ويبلغ مبلغ العجيب ، ويقطع به ويتواصل ، ويوعد ويهدد ، ويقبض ويبسط ويؤمر وينهي ، وتضرب به الوعود ، وينبه على الرقيب ، ويضحك ويحزن ويسأل ويجاب ، ويمنع ويعطي ، ولكل واحد من هذه المعاني ضروب من هيئة اللحظ لا يوقف على تحديده إلا بالروية ولا يمكن تصويره ولا وصفه إلا بالأقل منه (270) " ثم يصف بعد ذلك المعاني التي تعبر عنها الإشارة فيرى :

1- إن الإشارة بمؤخر العين الواحدة نهى عن الأمر ، وتغييرها إعلام بالقبول وأدامه نظرها دليل على التوجع والأسف ، وكسر نظرها آية المزح .

2- والإشارة الخفية بمؤخر العين كلتاها سؤال ، وقلب الحدقه من وسط العين إلى الموق بسرعة شاهد المنع ، وترعيد الحدقتين من وسط العينين نهى عام . وسائر ذلك لا يدرك إلا بالمشاهدة .

3- والإشارة إلى أطباقها دليل على التهديد وقلب الحدقه إلى جهة ما ثم صرفها بسرعة تنبيه على مشار إليه .

ويخلص ابن حزم الى مكانة العيون ودلالاتها وإنها من الثوابت من حيث أنها أبواب للمحبة ونوافذ للمودة وقنوات للشوق ومعين الجمال .

ويرى إنها تنوب عن الرسل ، ويدرك بها المراد ، والحواس الأربع أبواب الى القلب ومنافذ نحو النفس ، والعين أبلغها وأصحها دلالة وأوعاها عملاً . وهي رائد

270 - ابن حزم، طوق الحمامة في الالفه والالاف، مرجع سابق ، ص 43 .

النفس الصادق ، ودليلها الهادي ، ومرآتها المجلوة التي بها تقف على الحقائق وتميز الصفات وتفهم المحسوسات . وقد قيل : ليس المخبر كالمعاین (271).

لان العين إذا لاقى شعاعها شيئاً ما مجلوا صافياً انعكس شعاعها فأدرك الناظر نفسه ومازها عياناً

ولو لم يكن من فضل العين إلا أن جوهرها أرفع الجواهر وأعلاها مكاناً ، لأنها نورية لا تدرك الالوان بسواها ، ولا شيء أبعد مرمى ولا أناي غاية منها ، لأنها تدرك بها اجرام الكواكب التي في الافلاك البعيدة ، وترى بها السماء على شدة ارتفاعها وبعدها ، وليس ذلك إلا لاتصالها في طبع خلقتها بهذه المرآة ، فهي تدركها وتصل اليها بالنظر ، لا على قطع الاماكن والحلول في المواضع وتتنقل الحركات ، وليس هذا لشي من الحواس مثل الذوق واللمس ، لا يدركان إلا بالمجاورة ، والسمع والشم ، لا يدركان إلا من قريب . ودليل على ما ذكرناه من النظر أنك ترى المصوت قبل سماع الصوت ، وإن تعمدت إدراكهما معاً ، ولو كان إدراكهما واحداً لما تقدمت العين السمع (272) .

271 - المرجع نفسه ، ص 43 .

272 - ابن حزم، طوق الحمامة في الالفه والالاف، مرجع سابق ، ص 44 .